

أضواء البيان

@ 407 حلقه ، فجعل إشارته إلى أن درع الحديد المصروب بها المثل للبخل ثابتة على حلقه لا تنزل عنه ولا تستر عورته ولا بدنه كالنطق بذلك . .

فهذه أربعة عشر حديثاً أوردها البخاري رحمه الله في الباب المذكور ، وسقناها هنا ، وبيننا وجه الدلالة على أن الإشارة كالنطق في كل واحد منها ، مع ما قدمنا من الأحاديث الدالة على ذلك زيادة على ما ذكره البخاري هنا . .

وقد ذكر البخاري رحمه الله في أول باب (اللعان) خمسة أحاديث أيضاً كل واحد منها فيه الدلالة على أن الإشارة كالنطق ولم نذكرها هنا لأن فيما ذكرنا كفاية . .

وقال ابن حجر في (الفتح) في آخر كلامه على أحاديث الباب المذكورة . قال ابن بطال : ذهب الجمهور إلى أن الإشارة المفهومة تنزل منزلة النطق . وخالفه الحنيفة في بعض ذلك . ولعل البخاري ردّ عليهم بهذه الأحاديث التي جعل فيها النبي صلى الله عليه وسلم الإشارة قائمة مقام النطق . وإذا جازت الإشارة في أحكام مختلفة في الديانة فهي لمن لا يمكنه النطق أجوز . .

وقال ابن المنير : أراد البخاري أن الإشارة بالطلاق وغيره من الأخرس وغيره التي يفهم منها الأصل والعدد نافذة كاللفظ اله ويظهر لي أن البخاري أورد هذه الترجمة وأحاديثها توطئة لما يذكره من البحث في الباب الذي يليه ، مع من فرق بين لعان الأخرس ، وطلاقه ، والله أعلم . .

فهذه الأحاديث وأمثالها هي حجة من قال : إن الإشارة المفهومة تقوم مقام اللفظ . واحتج من قال : بأن الإشارة ليست كاللفظ بأن القرآن العظيم دل على ذلك ، وذلك في قوله تعالى في الآية التي نحن بصددنا : { فَاقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَانُ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا } فإن في هذه الآية التصريح بنذرها الإمساك عن كلام كل إنسي ، مع أنه تعالى قال : { فَأَشَارَتْهُ إِلَيْهِ } أي أشارت لهم إليه أن كلموه يخبركم بحقيقة الأمر فهذه إشارة مفهومة ، وقد فهمها قومها فأجابوها جواباً مطابقاً لفهمهم ما أشارت به : { قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا } ، وهذه الإشارة المفهومة لو كانت كالنطق لأفسدت نذر مريم ألا تكلم إنسياً . فالآية صريحة في أن الكلام باللفظ يخل بنذرها ، وأن الإشارة ليست كذلك ، فقد جاء الفرق صريحاً في القرآن بين اللفظ والإشارة ، وكذلك قوله تعالى { قَالَتِ إِني تَكُ أَلَا تَكُ تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا } فإن الله جعل له آية على ما بئس به وهي منعه من

الكلام ، مع أنه لم يمنع من الإشارة بدليل قوله : { إِلاّ }